هيام ممقوت

للكاتبة : سماح اليونس

الإهداء

إلى أُمّي

جميـــلٌ أنـــت...گ مطـــرةٍ أولـــىٰ بعـــد أشـــهرٍ عجـــاف ، گ نخلـــةٍ شـــاهقة مزهـــرةٍ مثمـــرة ، گ حقـــل أزهـــر بعـــد ســـنون مـــن القحـــط ، گ وردةٍ تفتحت بعدما كبرت .

جميـــلٌ گ قبلـــة طبعهـــا أســـيرٌ علـــىٰ جبـــين أمـــه ويـــداه مُقيـــدات ، گ شـــهيد يبتســـم عنـــدما دخلـــت رصاصـــات الغـــدر لصـــدره وتوجتـــه فارســـاً للجنة ، گ وجع وطنٍ جميل من بين كل الأوطان كان محتلاً .

قلبت الصفحة وكتبت شيئاً مختلفاً ، لكن دون جدّوى أيضاً ؛

جميـــلٌ أنـــت كجمـــال كـــل شـــيء جميـــل ، لايحـــده الحـــدود ...جمـــال كحـــد السماء أي بمعنى للحد الذّي لا حدّ له

ترىٰ هل أدركت حجم جمالك ؟

نطقت ففضحت

كانت عيناه مُزرقتين لدرجة رقّتا قلبها رقّةً ونصف الرّقّة، تداعى عنده قلبها ليُرزق بزرقتهما قليلاً، لتمتلك لون السّماء الصّافي، المُتخالِج على البحر، اللّون الأزرق، لون الحُبّ الجارِ في قلبها له، لون القلب الغارق في بحر هَواه ، لون عيناه الغارقة هي بهما .

ذات يوم التقيا تحت تعانقا تحت أريكة الهواء، تحت ظل الشجرة، وطيف الغيمة، كانا في منتصف النهار اللاهب، وسط تموز أو يوليو لا أذكر تماماً، كانا على مرأى النجوم ومسمع النرجس والياسمين، ومع تسابق نسيم القهوة المليء بحُبيبات الهال، شدّا على ظهور بعضهما لتُؤزر، مدا الحلم ليُغطِ هيامهما،

وافترشا قلوبهما لتتهافت نحو عنان العشق، ترتفع وتنخفض على أوتار دقّات القلب، ناداها باسمها فرد عليها مُسرعاً باسماً "قلبه" حينها استيقظت من شرودها الماحق بها وصرخت بصوتي "لازلت أُحبّك" ، أثناء اللقاء انعكست أشعة الشّمس الذهبية على عينيه، كان مُظهراً جفاءه لها، لكن! انعكاس الشمس فضحه، حينها ظهرت صورتها في عينيه تلقائيّاً عند تبسمه، لم ينطق عينه التي نطقت، صمتت ونطقت ففضحت .

إلى الذي

فـــي لحظـــة ضـــعفٍ نظـــرت إلـــى مكتبتـــي الخاصـــة ، التـــي بهـــا كُتبـــاً ملأتهـــا الغبـــرة، والعنكبـــوت المُهنـــدس اعتلـــى مجـــده عنـــد زواياهـــا ، وأخـــذ يـــبنِ بيوتـــه وبيـــوت أولاده، وضـــعت يـــدي علـــى رفوفهـــا أو بـــالأحرى رفيّهـــا المكتظـــيْن بالكتـــب ، والتـــي أحســـبُها كُتبـــاً باليـــة علـــى الـــرّغم مـــن أنّهـــا تعـــود لأُنـــاسٍ عمالقـــة الأحـــرف ، وأصـــحاب الحبـــر للأقـــلام ، وقفـــت لوهلـــة أتأمـــل وحـــدة كتبـــي ، بُعـــدها عنّـــي وبُعـــدي عنها ..

وقفـــت مكتوفـــة الأيـــدي ، أســـتحقر نفســـي لأنّـــي أهملـــت اللّغـــة التـــي مُجـــدت ، تلـــك اللغـــة التـــي حلّقـــت كطـــائر النـــورس فـــي الأعـــالي ،

هممـــت لإعـــادة النظـــر بالكتـــب ، أمســـكت الكتـــاب الأوّل فوجـــدت فـــي إهدائه:

:"إلـــى الـــذي شـــجعني علـــى الكتابـــة ، وواصـــل دعمـــه لـــي ليُصـــبح اســـمي ككُتّـــاب كثـــر ، إلـــى الـــذي حببنـــي بالكتابـــة ودعمنـــي لجعـــل القلـــم فـــي يـــدي كمـــا الســـلاح ، إليـــك عملـــي الأدبـــي الأوّل ، نســـيت القـــول بـــأنّي أُحبّـــك " فتركتـــه وتأملـــت ذاك الكتـــاب كثيـــراً ، مـــاذا لـــو كُنّـــا نملـــك رفـــاق قلـــبٍ هكـــذا ، بـــل رفـــاق نجـــاح ، لنعلـــو كمـــا يعلـــو الطيـــر للعـــلا ، لنرسم مستقبلنا بأيدنا ؟

رغبة مُلِحة

"...كلّ مرة كنت أتجرّع الألم كان بجانبي ، لم يقوى المرض علي ، فلم أكن وحيدة ، كان معي في روحي وبجانبي .لم أُهزم ولو لمرّة ، كان يمسك بيدي ويقول "نحن الأقوى " ، كلّ من حولي ازدادت غيرتهم تجاهي .

كنت ممتنة لله على وجوده بقربي ، كان لا يغفو حتى أنام ، ولا يضحك إلا حين أضحك . في كل مرة كنت لا أفضل النظر للمرآة كان يخبرني بأني لا زلت جميلة . اصفرت عيناي، أصبحت نحيلة جدا ، فقدت شهيتي بالأكل، شحب وجهي و كثرت بثوره وذهب كلّ جماله ، شعري تساقط وأصبحت صلعاء ، تعرّى رأسي بالكامل من الشعر كنت شمطاء ومنزعجة من ذلك لكنّي الآن أتمنى لو تعود خصلة شعر . عدا عن علاجه المؤلم والذي يجعل الخلايا تحترق ، وكأن أعصابي أوقدت النيران بداخلي والعلاج

وقودهـــا .بـــالرغم مـــن ذاك كلّـــه كـــان يقـــول لـــي "لا زلـــت جميلـــة الجمـــيلات" أظنـــه يكـــذب قلـــيلاً، لكـــن لا بـــأس مـــن الجرعـــات الإيجابيـــة .

أذكـــر آخـــر جرعـــة أخـــذتها كـــان معـــي ماســـكاً ليـــدي ، كنـــت متألمـــة جـــدا لكنـــي ســـعيدة بانتهـــاء هـــذا العـــلاج البـــائس ، لكـــن فرحتـــي لـــم تكتمـــل لأن بخطـــأ طبـــي ســـقطت قطـــرات مـــن الكيمـــاوي علـــى جلـــدي فاحترقـــت يدي ، مسكتها الممرضة وحاولت التخفيف عني .

قلت لها قد احترق قلبي ورحل شعري فلا مشكلة لي .

وفقدتِ أيضا قدرتك على الانجاب-أجابتني بابتسامة خائفة-

وهنـــا كانـــت الصـــاعقة ، لأنـــي تحملـــت كـــل فتـــرة العـــلاج مـــن أجـــل سماع كلمة "ماما" وها أنا الآن أفقدها .